﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

(وصف جنة الخلد)

بتاريخ [٩-٣-٢٠١٨]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (وصف جنة الخلد).

الخطبة الأولى:

السلام عليكم، ورحمة الله وبركاته، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١]. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾ [الفرقان: ٢]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]. ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾ [الحديد: ٢]. الأمر أمره، والخلق خلقه وهو ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ [البروج: ١٦]. يعز ويذل، ويكرم ويهين، ويبتلي ويعافي، ويقبض ويبسط، ويغني ويقني، ويُضحك ويُبكي، فكم من عزيزٍ أذله الله، وكم من ذليلٍ أعزه الله، له الخلق، وله الأمر -سُبْحَانه-، لا راد لقضائه ﴿لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١)﴾ [الرعد: ٤١]. وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، سيد ولد آدم أرسله الله على حين فترة من الرسل بالحق بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فصلوات ربي وسلامه عليه عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وبعد...

أيُها الإخوة، فكما لا يخفى عليكم أن الاعتقاد الصحيح يدفع إلى عملٍ صحيح وأن الاعتقاد الفاسد يدفع إلى عملٍ فاسد، فإذا اعتقدت اعتقادًا صحيحًا انبثق عن هذا الاعتقاد الصحيح عمل صحيح ونافع، فلزم تصحيح المعتقد، ولزم بيان المعتقد الصحيح من المعتقد الرديء، -إِنْ شَاءَ الله- نبين شيئًا من معتقداتنا في اليوم الآخر وخاصة في جنة الخلد التي أعدها الله للمتقين، فلا يخفى عليكم أن الرسل -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- أُرسِلوا مبشرين ومنذرين، بل وقُدِم التبشير على الإنذار في كثير من الآيات، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. وقال

تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨)﴾ [الفتح: ٨]. فكثر الحديث عن الإنذار، وقَل الحديث عن التبشير.

فينبغي أن نذكر بما أعده الله للمؤمنين يوم القيامة، وهو جزء من معتقداتنا في اليوم الآخر، فأقول مذكرًا: إن رجلًا عراقيًا أتى إلى أم المؤمنين عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- فسألها سؤالًا: «أيُّ الكَفَنِ خَيْرٌ يا أُمَّ المُؤْمِنِينَ؟ قالَتْ: وما يَضُرُّكَ؟ يعني: ما يضرك أمر الكفن؟ فقالَ: أرِينِي مُصْحَفَكِ يا أُمَّ المُؤْمِنِينَ؟ قالَتْ: لِمَ؟ قالَ: أُؤَلِّفُ عليه. فقالَتْ: يا هذا، إنَّ من أولِ ما أُنزِلَ على رسولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا التذكيرُ بالجَنَّةِ والنَّارِ، ولو كانَ مِن أولِ ما نزلَ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقالوا: واللهِ، لا نَدَعُ شربَ الخَمْرِ أبَدًا، ولو كانَ مِن أولِ ما نزلَ: لا تَزْنُوا، لَقالوا: واللهِ، لن نَدَعَ الزِّنَا أبَدًا». ولكن كان مِن أوائل ما نزل التذكير بالجنة والتذكير بالنار «قالَتْ: ولقد نزلَتْ سورةُ القمرِ فيها: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦)﴾ [القمر: ٤٦]. وأنا جَارِيَةٌ أَلْعَبُ». يعني: قبل أن تنتقل إلى مدينة رسول الله «وقالَتْ: كنت أسمعُ النبيَ يقولُ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾.».

فإذا علم الشخص مستقبله، إذا علم الشخص ما سيأتي شمر عن ساعد الجد للعمل، فحديثنا -بِإِذْنِ اللهِ- عن الجنة التي أعدها الله للمتقين، جعلنا الله وإياكم من أهلها، لعل مشمرًا أن يشمر، لعل مجتهدًا في الطاعات أن يجتهد، بل ولعل بئيسًا في هذه الحياة الدنيا وفقيرًا فيها يتسلى بما سيلقاه إن هو آمن -إِنْ شَاءَ الله-، فإن الرسول قال: «ويؤتى بأبئس رجلٍ كانَ في الدنيا فيُصبَغُ صبغةً في الجنةِ، فيُقال له: يا ابنَ آدمَ، هل وجدت بؤسًا في حياتك قط؟ فيقولُ: لا والله يا ربي، ما وجدت بؤسًا في حياتي قط». فالحياة الدنيا قصيرة الأمد، وكما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)﴾ [العنكبوت: ٦٤].

فالحديث عن جنة الخلد، عن دار المقامة، عن دار السلام، عن جنات عدن، عن المقام الأمين، عن الفردوس، عن تلك المنازل، جعلنا الله وإياكم من أهلها، وجعلنا الله وإياكم في أعلاها، فرسولكم الأمين يقول: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّها اللهُ لِلْمُجاهِدِينَ فِي سَبِيلِه، ما بيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كما بيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ، فإذا سَأَلْتُمُ اللهَ، فاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فإِنَّه أَعْلَى الجَنَّةِ وأَوْسَطُ الجَنَّةِ، ومِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهارُ الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ». الجنة أُعِدت للأتقياء، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣)﴾ [مريم: ٦٣]. الحديث عن شيءٍ من أمر الجنة وإلا فلن نحيط بها، فإن الله قال وهو أصدق القائلين: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)﴾ [السجدة: ١٧]. ويقول -سُبْحَانه- في الحديث القدسي: «أَعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ، ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.». فمهما وصفنا ومهما تحدثنا إنما هو شيء للتقريب تقريب المعاني، وإلا فشتان ما بين وصفنا للجنة وحقيقة الجنة التي لم نرها «وليس الخَبَرُ كالمُعايَنةِ، وليس المُخبِرُ كالمُعاين». كما قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فعن مكانها، فالجنة بعد السماء السابعة، واستدل لذلك بعض العلماء بعموم قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢)﴾ [الذاريات: ٢٢]. واستدل أيضًا العلماء بأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رأى سدرة المنتهى بعد السماء السابعة، ولقد قال تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥)﴾ [النجم: ١٤-١٥]. وأيضًا ولأن ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)﴾ [طه: ٥]. النبي ذكر الحديث الذي سمعتموه في شأن الفردوس: «وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ». فالجنة بالاتفاق -ولا أعلم في ذلك مخالفًا- الجنة فوق السماء السابعة، هذا عن الجنة.

عن طولها وعن عرضها، عرضها الذي وصِف، فما ظنكم بطولها؟ قال تعالى: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]. ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. فنبه بالعرض عن عظيم الطول، الطول لا يعلمه إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ، طولها لا يعلمه إلا الله، أما عرضها فإذا ضممت السماوات وبسطتها هذه السماء بجانب تلك السماء بجانب تلك السماء، ولا يعلم عظم السماء إلا الله، وبسطت الأراضين، وضممت كل هذا إلى بعضه فهذا عرض الجنة، فما ظنكم بطولها؟

أما عن بنائها، «لبنةٌ مِن ذهبٍ ولبنةٌ مِن فضةٍ». كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فهذا البناء «لبنةٌ مِن ذهبٍ ولبنةٌ مِن فضةٍ». وقال الرسول الأمين -عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمَ-: «جَنَّتانِ مِن فِضَّةٍ آنِيَتُهما، وما فيهما، وجَنَّتانِ مِن ذَهَبٍ آنِيَتُهما، وما فيهما، وما بين القومِ وبين أنْ يروا ربَّهم إلَّا رِداءُ الكِبْرِياءُ على وجهِه -عَزَّ وَجَلَّ-». الحديث أو بنحوه، فهذا عن بنائها.

عن أبوابها، هي ثمانية أبواب، هي ثمانية أبواب، ولكل باب خزنة، وعلى كل باب من ينادي، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَن توضأ فقالَ: أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسولُهُ دُعي مِن أبْوابِ الجَنَّةِ الثَّمانِيَةِ يَدخلُ مِن أيِّها شاءَ». أو «فُتِحت له أبْوابُ الجَنَّةِ الثَّمانِيَةِ يَدخلُ مِن أيِّها شاءَ». منها أبواب مخصوصة بالصائمين -جعلنا الله وإياكم منهم-، بالمصلين المتعبدين، بالمجاهدين في سبيل الله، بالباذلين للنفقات والصدقات، بالحجيج، بالمعتمرين، أبواب مخصوصة بأقوام، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَن أنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سَبيلِ اللهِ، نُودِيَ مِن أبْوَابِ الجَنَّةِ: يا عَبْدَ اللهِ هذا خَيْرٌ، هلمْ». يعني: تعال، ادخل من عندنا «إنْ كانَ مِن أهلِ الجهادِ دُعي مِن بابِ الجهادِ، إنْ كانَ مِن أهلِ الصلاةِ دُعي مِن بابِ الصلاةِ، إنْ كانَ مِن أهلِ الصيامِ دُعي مِن بابِ الرَّيَّانِ، إنْ كانَ مِن أهلِ الزكاةِ دُعي مِن بابِ الزكاةِ». إلى آخر الحديث «فإذا دَخلوا فلا يَدخلُ مِنه أحدٌ غيرهم». فالجنة أبوابها ثمانية.

ولقد قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إنَّكم تُوفون سَبعينَ أمَّةً ، أنتُمْ خَيرُها وأَكْرمُها علَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-». وذكر الحديث وفيه: «إنَّ ما بين مِصراعَين من مصاريعِ الجنةِ مسيرةُ أربعينَ خريفًا ولَيأتِيَنَّ عليه يومٌ وهو كظيظٌ مِن الزِّحامِ». إذا كنت مصليًا محافظًا على الصلاة بخشوعها، وأركانها، وأوقاتها، والطمأنينة فيها نوديت من أبواب الصلاة، متصدقًا محسنًا نوديت من أبواب الصدقة، مجاهدًا نوديت من أبواب الجهاد، سأل أبو بكر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يا رسولَ اللهِ، وهل يُدعى أحدُ مِن تلكَ الأبوابِ كلِها؟ قال: نعمْ، يا أبا بكرٍ، وأرجو أن تكونَ أنت مِنهم». فيُنادى عليه من أبواب الصلاة، من أبواب الصدقات، من أبواب الجهاد، من أبواب الحج، من أبواب العمرة، كل خازنٍ يريد أن يدخل أبو بكر من بابه، فيا هنيئًا له، ويا هنيئًا لمن سار على دربه وسلك سبيله.

فجنة لبنة مِن ذهب -وشتان ما بين ذهب الدنيا وذهب الآخرة- ولبنة مِن فضة -وشتان ما بين فضة الدنيا وفضة الآخرة-، وأبوابٌ عليها خزنة كرام، أبواب عليها خزنة كرام ملائكة تراهم آنذاك وإن كانوا حُجِبوا عنك في الدنيا، فتراهم على الأبواب يسلمون ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣)﴾ [الزمر: ٧٣]. كما قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾. إنها تُزين لأهلها، ترون في الدنيا بيوت زُينت لأضياف كرام، لكن الجنة تُزين، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢)﴾ [ق: ٣١-٣٢].

الجنة بناؤها، وأبوابها، وبعض أرضها من أي شيءٍ؟ ليست من رمال ولا من تراب، بل «ملاطُها المسكُ الأذفرُ، ترابُها المسكُ الأبيضُ، دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ». فهذا ترابها المسك الأبيض ترابها، حصباؤها -الأشياء التي تشبه الحجارة في الدنيا-، ما حصباؤها؟ «جَنابِذ اللُّؤلؤِ». جَنابِذ اللُّؤلؤِ: قطع اللؤلؤ المتناثرة ها هنا وها هنا، هذا عن أرضها، أرضها

المسك الأبيض كما في حديث الرسول لابن صياد وقد سأل النبي عن الجنة قال: «دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ». أي: مسك أبيض خالص. كما في الحديث الآخر: «جَنابِذُها اللُّؤلؤ، وَملاطُها المسكُ الأذفرُ». كما ورد عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

بها قصور، بها بيوت، بها خيام، بها قصور، بها بيوت، بها خيام، فيها غرف أدوار، فيها كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠]. فيها قصور، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعمر: «رأيتُ الليلةَ رؤيا، رأيتُ كأني في الجنةِ، ورأيتُ جاريةً تغتسلُ إلى جانب قصرٍ عظيمٍ، فقلت: لِمنْ هذا القصرُ؟ فقالوا: لرجلٍ مِن العربِ. قلت: أنا عربي، فلِمنْ هذا القصرُ؟ قالوا: لرجلٍ مِن قُريشٍ. قلت: أنا قُرشي، لِمنْ هذا القصرُ؟ قالوا: لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ. قالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: فَذَكَرْتُ غَيْرَتَك يا عمرُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا. قالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يا رَسولَ اللهِ! بأبي أنت وأمي». وقال الرسول لبلال: «يا بلالُ، أخبرني عَن أَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ، فإنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بيْنَ يَدَيَّ في الجَنَّةِ. قالَ: يا رَسولَ اللهِ، ما توضأتُ في ساعةٍ مِن ليلٍ أو نهارٍ، إلَّا وصليتُ بذلكَ الوضوءِ ما كتبَ اللهُ لي أن أُصليَ».

الجنة فيها بيوت «مَن بنَى للهِ بيتًا بنَى اللهُ له بيتًا في الجنَّةِ». لقد قالت القانتة العابدة مريم -عَلَيْهَا اَلسَّلَامُ- أمة الله وأم عبد الله عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]. الآية، ففي الجنة بيوت، في الجنة قصور، في الجنة غرف مبنية، في الجنة خيام، قال تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢)﴾ [الرحمن: ٧٢]. قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الخَيْمَةُ دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ». وفي بعض الطرق «لُؤْلُؤَةٌ مُجَوَّفَةٌ طُولُها سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فيها أَهْلُونَ لا يَرَاهُمُ الآخَرُونَ». فبيوت من ذهب، وبيوت من فضة.

في الجنة أنهار لا يعلم عددها إلا الله وإن كانت سُميت لنا بعضها، قال تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]. فيها الحوض، وفيها الكوثر، حوض إذا شربت منه شربة لا تظمأ بعدها أبدًا، فيها الكوثر، فيها نهر الحيا أو نهر الحياة الذي «يُغمَس فيه مَن خرجَ مِن النارِ، قَدِ امْتُحِشُوا فَيَنْبُتُونَ كما تَنْبُتُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ». ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦)﴾ [الرحمن: ٦٦]. ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠)﴾ [الرحمن: ٥٠]. فيها سيحان وجيحان كما قال النبي الأمين: «النِّيلُ، والْفُراتُ، وسَيْحانُ، وجَيْحانُ مِن أنْهارِ الجَنَّةِ». نهران ظاهران النيل والفرات، وسيحان وجيحان من أنهار الجنة كما بين النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-.

فيها عيون نضاخة كما سمعتم، وعيون جارية، وكذلك عيون فوارة أيضًا، فيها أيضًا «ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ». وفي تلك القصور، والبيوت، والغرف ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣)﴾ [الغاشية: ١٣]. سرر عالية ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)﴾ [الغاشية: ١٥-١٦]. ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠)﴾ [الرحمن: ٧٠]. فيهن حور العين أجمل نساء لم تتصور أبدًا في دنياك ولن تتصور في دنياك مدى حسنهن، لقد قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في شأنهن: «لو أنَّ امرأةً مِنهن اطَّلعتْ على الدنيا لأضاءَتْ ما بين السماءِ والأرضِ». أو كما قال «ولَنصِيفُها مِن فوقِ رأسِها». الخمار «خيرٌ مِن الدنيا وما فِيها». «ولَنصِيفُها مِن فوقِ رأسِها خيرٌ مِن الدنيا وما فِيها».

إن الجنة بها أنهار، بها حدائق، وأشجار، وفواكه، فواكه وكما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [المؤمنون: ١٩]. فيها كل صنوف الفواكه علمتها أنت أم لم تعلمها، لكن شتان ما بين فاكهة الدنيا وما بين فاكهة الآخرة؛ ذلك لأن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «رأى في صلاةِ الكسوفِ الجنةَ وهو يصلي في عرض الجدارِ

فتقدمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ثم تأخرَ أيضًا لما رأى النارَ، فسأله الصحابةُ: يا رسولَ اللهِ، رأيناك تقدمت وتأخرت في صلاتك، ما الحاملُ على ذلك؟ قالَ: رأيت الجنةَ، وتقدمت لأقطف مِنها عنقودًا». يعني: من العنب «ولو أتيتكم به لأكلتم منه ما بقيت الدنيا». عنقود من العنب يكفي أهل الأرض ما بقيت الدنيا، فشتان ما بين نعيم الدنيا وما بين نعيم الآخرة.

جنةٌ ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾. كما سمعتم ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)﴾. فيها أنهار من كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وكذلك في هذه الجنان ما تشاء من الأطعمة وما تشاء من الملابس، ثياب أهل الجنة خضرٌ كما قال تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١]. وكما قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣)﴾ [فاطر: ٣٣]. والسندس والاستبرق: الحرير الغليظ والحرير الرفيع.

أيُها الإخوة -بارك الله فيكم-، أما عن أوصاف أهل الجنة أنفسهم فلا يتحمل المقام ذكر أوصافهم، إلا أنهم في الجملة بيض الوجوه، وجوه نضرة بيضاء والحمد لله، بيض الله وجوهنا ووجوهكم يوم تبيض الوجوه، ومن أسباب هذا البياض مع الإيمان بالله ورسله وسائر أركان الإيمان المحافظة على الوضوء، فأمة محمد تأتي يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء، إن الجنة في الجملة قسمان: قسم للمقربين -جعلنا الله وإياكم منهم-، وقسم للأبرار، هذا على الإجمال، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١)﴾ [الواقعة: ٧-١١]. فهناك من أهل الجنة صنفان على وجه الإجمال: أصحاب يمين وسابقون مقربون، ولقد قال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١)﴾ [الواقعة: ٩٠-٩١]. وقبلها: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا

إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١)﴾ [الواقعة: ٨٨-٩١]. بلا ريبٍ أن مشروبات المقربين أفضل في الجملة من مشروبات أصحاب اليمين، وكذا مساكنهم، وكذا ملابسهم، قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨)﴾ [المطففين: ٢٧-٢٨]. فالمقربون يشربون من التسنيم صرفًا، وتُمزَج لأصحاب اليمين مزجًا ﴿مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)﴾ [الإنسان: ٥]. الكافور أيضًا يشرب منه المقربون صرفًا خالصًا صافيًا، ويُمزَج لأصحاب اليمين مزجًا.

الجنة بعد هذا التقسيم الإجمالي: أصحاب يمين وسابقون، بين ذلك درجات شتى، درجات فيها تفاوت عظيم بين الدرجتين «ما بيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كما بيْنَ السَّماءِ والأرْضِ». وكما قال الرسول الأمين: «إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ يَتَراءَوْنَ أهْلَ الغُرَفِ». يعني: ينظرون إلى أهل الغرف «كما تتراءون الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ في الأُفُقِ لِتَفَاضُلِ ما بيْنَهُمْ. قالوا: يا رَسولَ اللهِ، تِلكَ مَنَازِلُ الأنْبِيَاءِ لا يَبْلُغُهَا أحدٌ غَيْرُهُمْ؟ قالَ: كلا، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا باللهِ وصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ». فما بين الدرجات تفاوتٌ عظيمٌ، قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)﴾ [الإسراء: ٢١]. لقد قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مبينًا الدرجات وأسباب العلو فيها: «يقالُ لصاحِبِ القرآنِ اقرَأ وارقَ ورتِّل؛ فإنَّ منزلتَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها». فإذا وافيت يوم القيامة ورأيت الناس يترقون في الدرجات من درجة إلى درجةٍ سألت: ما سبب هذا الترقي؟ يُقال لك: هذا اجتهد في حفظ القرآن، وحفظ، وعمل. فتقول: يا حسرتاه ليتني اجتهدت، ليتني آمنت بالكتاب العزيز، وحفظته، ودعوت إليه «يقالُ لصاحِبِ القرآنِ اقرَأ وارقَ ورتِّل؛ فإنَّ منزلتَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها».

وكذلك تحصيل العلم الشرعي، تعلم الكتاب العزيز وتعلم السنة المباركة يرفعانك درجات، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. وكذلك جهادك بكل صور الجهاد بالحكمة والموعظة الحسنة لنصرة

دينك ولإعلاء كلمة ربك، بمالك، بنفسك، بوقتك، بلسانك سببٌ في رفعة درجاتك، مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ويا هنيئًا لك إذا كنت من أبناء أقوام صالحين، ويا هنيئًا لك إذا كنت صالحًا، فربنا يقول: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]. فإذا كنت رجلًا صالحًا ومنَّ الله عليك بدرجة عالية في الجنان ولك ابن مؤمن، لكن قصر في العمل بعض التقصير آباؤه سبب في رفعه درجات تفضلًا من الله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾. وكذلك إذا كان الولد صالحًا وأبوه عنده بعض التقصير يتسبب الولد في رفع درجة أبيه، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إنَّ الرجلَ تَرتفعُ درجتُه يومَ القيامةِ، فيقولُ: يا ربِّ، أنَّى لي هذا؟». يعني: أعمالي يا ربي ما توصلني إلى هذا المقام «فيُقالُ: باستغفارِ ولدِكَ لكَ». فيا هنيئًا له من رزقه الله ولدًا صالحًا، يستغفر له بعد موته، يدعو له بعد موته، يستغفر له بعد موته، ويدعو له بعد موته.

هنالك علو في الدرجات، فإن كنتم موقنين بالبعث والحمد لله أنتم أهل يقين بذلك، فاجتهدوا، وشمروا عن ساعد الجد والاجتهاد، فالجنان كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢)﴾ [الزخرف: ٧٢]. قال فريق من أهل العلم في الجمع بين هذه الآية وبين حديث «لَنْ يُدْخِلَ أحَدَكم عَمَلهُ الجَنَّةَ. قالوا: ولا أنْتَ؟ يا رَسولَ اللهِ. قالَ: ولا أنا، إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ برَحْمَةٍ مِنه وَفضلٍ». قال فريق من أهل العلم: إن دخول الجنة ابتداءً تفضل من الله -سُبْحَانه-، وإلا فأعمالنا قاصرةٌ لا توصلنا إلى هذه الجنان، ولكن ﴿فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الجمعة: ٤]. ويرحم ربنا من يشاء، وبعد فالتفاضل في الدرجات من أسبابها الأعمال ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. فاجتهدوا لها، واعملوا لها، قال ربكم: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١)﴾ [الصافات: ٦١].

واستغفروا الله؛ إنه كان غفارًا.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

فأذكر ببعض الأعمال التي ينبغي أن نجتهد فيها سائلًا الله أن يورثنا وإياكم فسيح الجنان بكرمه ومنه، اللهم آمين، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨]. فالإيمان بالله وقوة اليقين تبلغك الفردوس مع العمل الصالح عمومًا ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)﴾. لا يبغون تحولًا عنها، إن الشخص في الدنيا قد يسأم من المعيشة في البيت وإن كان بيتًا فاخرًا، ويريد يومًا في السنة أن يذهب إلى مصيف أو يذهب إلى مكان آخر يتفسح فيه، لكن أهل الجنة إجمالًا ﴿لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.

وكذلك فإن في الجنة أسواق كما قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إنَّ في الجَنَّةِ لَسُوقًا، يزوره المُؤمنون في كُلِّ جُمُعَةٍ، فَيَرْجِعُونَ إلى أهْلِيهِمْ وقَدِ ازْدادُوا حُسْنًا وجَمالًا، فيَقولُ لهمْ أهْلُوهُمْ: ما لكم قَدِ ازْدَدْتُمْ حُسْنًا وجَمالًا؟ قالوا: وأَنْتُمْ، واللهِ مِن بَعْدِنا قَدِ ازْدَدْتُمْ حُسْنًا وجَمالًا». الإيمان والعمل الصالح من الأسباب التي تورث الفردوس، ثم إن الله يذكر في كتابه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. فهي جاهزة الآن، موجودة الآن، مُعدَة الآن، مهيأة الآن، دلت على ذلك عشرات الأدلة من الكتاب والسنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. ما صفاتهم -جعلنا الله وإياكم منهم-؟ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. في السراء: ولائم الأفراح مشروعة، العقائق مشروعة، الأضاحي مشروعة، أيضًا إدخال

السرور على المسلمين مشروع ﴿يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾. أيضًا يبذلون المال في أوقات الضر وإن حل بهم ضر، يتصدقون قربة إلى الله، وكي يترقوا في المنازل عند الله يواسوا أهل المصائب ﴿يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾. الكاظمين الغيظ، هل علمت أنك إذا كظمت غيظًا وأنت قادر على إنفاذه، هل علمت أن الله يكرمك كرمًا عظيمًا في الآخرة وتُكسى من حلل الجنة أيها شئت إذا كظمت الغيظ وعفوت عن الناس؟ ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾. فتحلوا بهذه الأخلاق الكريمة، شُتِمت، سُبِبت، وأنت قادر على أن تنال ممن سبك، ممن شتمك، لكنك كظمت غيظك لوجه الله، كما نقول في صلواتنا: «الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ». كظمت الغيظ، عفوت، وسامحت لوجه الله ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وبعد، فالمؤمن منا ضعيف، وكلنا بشر قد تزل منا الأقدام، فلا ينبغي أن نيأس أبدًا من رحمة الله، فالله يقول: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ [آل عمران: ١٣٥]. قد يزل التقي ويفعل فاحشة ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. فهكذا علينا بهذه الخصال الطيبة، وإذا تدبرت آي القرآن الكريم تجد أسباب تورثك هذه الجنان الفسيحة الرحيبة ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)﴾ [الذاريات: ١٥-١٨]. قم من الليل اجتهد، اجتهد لله، اجتهد لنفسك أيضًا، اجتهد لنفسك ولآخرتك ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)﴾. كل هذا لتهذيب أنفسهم ولتزكيتها.

ثم نفعهم متعدي إلى غيرهم أيضًا ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩)﴾ [الذاريات: ١٧-١٩]. يقتطع جزءً من ماله للفقراء أهل الحاجة أهل المسكنة، فهو ليس بقاصرٍ على

نفع نفسه وإصلاح نفسه بالصلاة والاستغفار فحسب؛ بل خيره واصل إلى عباد الله، خيره واصل إلى عباد الله، ليس بالبخيل، بل يبذل ذات اليمين وذات الشمال من غير من ومن غير أذى، فتخلقوا بهذه الخصال الكريمة، اقرأوها في كتاب الله يورثكم الله فسيح الجنان.

أيُها الإخوة، لا نكن كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، بل امتثلوا أمر ربكم، امتثلوا أمر الله إذ الله قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ [الحشر: ١٨]. أيُها الإخوة، بادروا بالخيرات، واعلموا أن الله لن يتركم أعمالكم، اجتهدوا في الطاعات، واعلموا أن الله شكور وشاكر لكم، ربكم يشكركم، اجتهدوا في الطاعات، دعكم من اللعب، دعكم من العبث، دعكم من القيل، دعكم من القال، لسانك وفره لذكر الله، وفره للاستغفار، وفره للإصلاح بين الناس، وفره لتلاوة كتاب الله، لا تخض مع الخائضين، لا تتكلم كثيرًا فتجهد نفسك ويؤثر هذا على ذكرك لله، وعلى شكرك له، وعلى تلاوتك للقرآن، لا تكثروا الضحك؛ ذلكم الضحك الذي يميت القلب، ولا يجعله يتفكر ولا يتدبر، لا تأكلوا كثيرًا تملأون البطون فيقف القلب عن التدبر والتفكر، شمروا عن ساعد الجد للقاء الله ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧)﴾ [الحج: ٧].

اللهم أورثنا الجنة يا رب العالمين، اللهم أورثنا الفردوس يا رب العالمين، اللهم يا ربي يا ربي يا ربي ألبسنا لباس التقوى، وزينا بزينة الإيمان، وزودنا بزاد التقوى، واحشرنا مع من أنعمت عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، أعمالنا يا ربنا لا تبلغنا جناتك، ولكنه فضلك، وكرمك، وحبنا لك، وحبنا لرسلك وللصالحين من عبادك ولمن أناب إليك يا رب اجعل ذلك شفيعًا لنا في وراثة الفردوس يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد في أعلى جنة الخلد، اللهم ولي علينا خيارنا، اللهم اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين، اللهم يا ربنا يا كريم ارحم أمواتنا وأموات

المسلمين، واقضِ الدين عنا وعن المدينين، واقضِ الدين عنا وعن المدينين، ووفق ولاة الأمور للعمل بكتابك وسنة رسولك -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- -عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَّلَاةِ وَأَتَمُّ تَّسْلِيمَ-، ارحم موتانا، واشفِ مرضانا، وفك أسرانا، وسد الدين عن المدينين منا، وهب المسيئين منا للمحسنين، اللهم هب المسيئين منا للمحسنين، اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر المسلمين، لا تنسوا الصلاة والسلام على البشير النذير اعترافًا بالفضل، وإقرارًا بالجميل، وامتثالًا لربنا -سُبْحَانه- إذ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وأقم الصلاة.

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

https:--www.youtube.com-channel-UCkL٢vNPCvXU١niLe٧KhKFXg

- رابط الخطبة:

https://www.youtube.com/watch?v=kWBDSSfZc٣Y&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=١٦٩

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

https:--www.facebook.com-groups-١٢٥٨٠٢٠١١١٠١٩٠٦٧-?ref=share